

المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر
الجزء العاشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

﴿ المجلد الحادي عشر ﴾

٧٢١

﴿ الجزء العاشر ﴾

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الحادي عشر

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾

اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة
وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي
جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس
المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يترض
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابثا واقعا واليك كلامه :

بث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي بمنهم من الأقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة، نصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباح مساء إلى معارضته — إن كان كاذبا — بسورة واحدة أو آيات بسيرة، فكلمها أراد تحديا لهم بها وتقريرا لهم بمجرم عنها قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا.

قال فها تروا ولو مقتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته، لأن سورة واحدة وآية يسيرة كانت انقض لقوله، وبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبل بطبقات، ولهم القصص العجيب والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة والقصص الموجزة، ولهم الأسجاع واللفظ المشور، ثم يتحدى به أقصاهم، بعد أن ظهر به عجز أدانهم، فحال — أرشدك الله — أن يجتمع هؤلاء كلهم في الأمر الظاهر، والخطاب المكشوف البين، مع التفرع بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد أعمالهم، وقد احتاجوا إليه والحاجة تبت على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، كما أنه محال أن يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه، ويمجدون السبيل وهم يندلون أكثر منه.

(المترج: ١١م) الاسلام . هدايته إلى العلم . ضعف المسلمين ٧٣٧

تتمت الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في (ص ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالة بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سباً إذا كان أمة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الأمم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المناقبين : تنقص بلادهم من أطرافها وتسقط في أيدي الأجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكلون على ما لا يتكل عليه من كرامات الأولياء ومدد الأموات ؛ ولم يجعل الله ذلك سببا للنصر بل أمر بأعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة روسيا عليهم فلم يعدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حماية شاه نقشبند ! (هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة النقشبندية) فلما

(المترج : ١٠م) (٩٣) (المجلد الحادي عشر)

٨٣٨ المتفريجون . الجامدون . المصلحون (المارچ ١٠م ١٩٩١)

زحف عليهم جيش الروس لم يملكوا من نجدة هذا الولي لهم شيئاً ، بل انقلبوا على أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين
 فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الأمة أن تعدّ لأعدائها ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، واتكلت في حياتها السياسية والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :
 ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فأروا ان جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترقى وتعتز ، ودول الاسلام تتدلى وتذل ، وبحوثا في سبب ذلك فأروا ان المسلمين مؤلفون من كل جنس ، ومتبوئون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا بينهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه والاخذ بما عليه أوربا !! ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي يمقت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان يتجاذبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على ما هم عليه وما هم بياقين ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

(المنارج ١١م ١٠) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجماعاتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين فنفرتم المسلمين عما به قوام أمتهم ودولتهم

وانتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبذون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفعمكم فيما تبذون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يجمع لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هزا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئا من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يجعل أمر المسلمين شوري بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد!! (وذ كرنا ملخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبدين يحاولون ان تكون رتبتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدمة له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

٧٤٠ السيد جمال الدين . الشيخ محمد عبده (المئارج ١٠ م ١١)

ذاتمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»
لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة
الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو
النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد، ولكنه لم يكد
يستقر على كرمي الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر حبا في الاستبداد،
وتندذاً بالاستعباد. ولكن السيد لم يمل ولم يأس، بل صبر ينتهز الفرص، فجذبه الايام
الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لإنشاء حكومة الشورى ففاه الشاه من البلاد،
ولقي من البلاء في ذلك ما لم يلقه الا قليل من العباد، ثم قذفت به القادير الى
الاستانة فأحسن السلطان اليه، حتى طمع فيه، ولكنه ما عثم ان يثس منه، حتى مات
هناك غير راض ولا مرضي عنه، هكذا قضى حياته في التطويق في البلاد ولم يتخذ
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم
ريان من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام
الجليل تربي تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمانا طويلا
لا يكلم أحدا، وزمانا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير
إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر، ثم رجع
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب، ولقد دخلت عليه مرة يته فرأيت
يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من
الاذى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يعتريه تنبه عصبي من إطالة الفكر
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل
الى جوار الاز بكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من
الصيب حتى تركتموه؟ اخبروني لعلني أبين لكم خطأكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

(المار ج ١٠م ١١) اشتغال الشيخ محمد عبده بالأصلاح . مدح الافرنج طريقتة ٧٤١

مرضا ألمّ به فنغه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فجتته فاذا هو في حجرة النوم
واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت له ماهذه الكتب وما هذا المرض ؟
فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المعقدة عن القرآن
قد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى
أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في
مصر فترك السياسة واشتغل بالأصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى
عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد
بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في
المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباء ، أو تقليد للمرجفين عن
بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية
الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي
تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية
وأهلها هم الاكثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند
حدوده في شيء وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم
خبر لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع
المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون
التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد
كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد
كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح
الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين
انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

٧٤٢ توفيق المنار بين الدين والعلم . الكواكبي (المنارج ١٠م ١١)

أمتنا وتميزها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقننا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن اذا لم نجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا اليها حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمؤونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشتبه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقلما يصل الى الاستانة جزء منه، فندعو جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو اليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعد بحاله ، ومنهم من يساعد بحاله ، والسلام على من اتبع الهدى » ورجح العقل على الهوى ، اهـ ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدواك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصدقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الإصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القري) والإصلاح السياسي بكتابه (طبائع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

(المنار ج ١٠ م ١١) بروتوكل لندره . رفضه في المبعوثان ٧٤٣

الانقلاب العثماني (*)

﴿ تركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

٧٤٤ بروتوكل لوندرة . رفضه في المبعوثان (الماراج ١٠ م ١١)

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت أكبر الصعوبات من
السيرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض أكثر المبعوثين
على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،
وكان مبعوثو الأرنأوط المجاورة بلادهم للجبل الأسود أشدهم اعتراضا ، وقام
مبعوث الأكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا
تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن
الاثاث والرياش والعربات والخليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا
بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا
ألبسة مرقعة بالية كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم تتردون أحسن
الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب
الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وأنا
موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي ببيعها فأنا أبيعها وأنا
مقبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل
لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية
عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايبي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة
مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتجاج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم
بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على
ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة
باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب
العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى
الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح
الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إيهاء واجباتها نحو
الاهالي المسيحيين !!!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

(المآرج ١٠م ١١) مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه ٧٤٥

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها وإزراء بشرفها وعبثا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس . وصارت الفشرات (سيركولير) والمحركات السياسية تنطير من عواصم أوربا والاندازات (ميموراندوم) والمذاكرات تنساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عثمانيين) بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقتردار (رئيس المحاسبة) والمكتوبجي ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المفتين من بين الأعضاء الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار هذا الزعم الفاسد فالملقي ما هو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ، وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضا على تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين عن احوال معسكر الاناضول ونقصان التجهيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمة قائمقام وقد كان (شربجي) اي حامل قصبة التدخين عند بعض الكبراء ، الى غير ذلك .

٧٤٦ انفضاض المبعوثان . الحرب الروسية العثمانية (المارچ ١٠ م ١١)

ثم استغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدبر بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا لنا مبعوثين او فر عقلا وكثرو قولا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياساتها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم بنظر الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة مادل على حياة الامة وقتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الادارة كانا سببا في انتصار الروس في أوروبا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجمال البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلغنا في الروم ايلي . ولقد أظهر عثمان جديد

(المارج ١٠م ١١) عود مدحت . افتتاح المبعوثان ثانية ٧٤٧

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم وقدرتهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ١٠ كانون الأول (دسمبر) سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة من الاموال ، لكثرة الإنفاق وانقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ، فقرر إعادة التثام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض لונدره ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمر (أوامر) مؤقتة لا كما يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ و ١٣ كانون الأول (دسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة العلية السلطانية أدهم باشا المصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من ناحية اليمين على صفين ، واعضاء مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم الرقيم المشتمل على نطقه لسعيد باشا ماشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

٧٤٨ خطاب السلطان . مذاكرات مجلس المبعوثان (المارچ ١٠ م ١١)

« يا أيها الاعيان والمبعوثان

« انني اكتببت المنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي المسلة (الامة) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي الهوية واللغات وحتى المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله:

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة — لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على إبطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد السواكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

(المراجع ١٠م ١١) إلغاء الصدارة . مجلس الوكلاء ٧٤٩

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٠٠ » الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظاركما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر (الباش وكيل) الأقم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رئاسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !!! »

فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لا أننا نحن الذين نمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين تحاولون نقضه وإبطاله ... » فأحيلت المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعساكر روسيا استولت على أدرنه وتجاوزتها ، وطلبت اوستريا (النمسا) أن تجمع في فيينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتقحيح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبمشت

٧٥٠ تعطيل المبعوثان . السكوت على ذلك وأسبابه (المأرجح ١٠م ١١)

انكثرا بأسطوفا الى بحر مرمرة في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تدخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعذرت الى المناقشات والمحاورات — على عاداتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يظن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج احمد افندي كتحدا الاسترجية (الكش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتصل من كل تبعة تلقى عليه الامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعة في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في اعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان فخلو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

استثناء المبعوثين والامانة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم بالجسورين على النكلم وإيقاظ افكار الامة وجوب المهاجرة من الأستانة !

(المتارج ١٠م ١١) السكوت على ابطال المبعوثان وأسبابه ٧٥١

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تخلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات ! كأنها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجري
وتضر به الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كمبعوث القدس الذي كان — بجرائته — يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، والى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا . ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرنانه في جريدة الديا وغيرها من جرائد باريس وذلك قيل وفاتها — آخذه لكتابه في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فحكا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذ كر ولا وعظهم واعظ !! ولا حيرت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها أتم ، ولا اسرة الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البحران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبعث خادما الى السوق ليشتري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكباد الوالد

٧٥٢ حزب تركيا الفتاة في زمن مدحت (المنار ج ١٠ ص ١١)

لبكاء أطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات واقرى ، والعساكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالأسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الأستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عاثشون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفرقة وضعفها ، وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفضائح ومداخلة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخايل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الافة قليلة من صفار الموظفين وضباط العساكر والمتعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الاوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن الميركي دوشاتونيف الفرنسي وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوريات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدينة الاوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المعنوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطربهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

(المراجع ١٠) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الاوربية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الاسلامية ، وشتان ما بين المدنية الاوربية والدين المسيحي ،

سماوي أفندي وحادثة جراجان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامه علي سماوي أفندي ، وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الافكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفرالى باريس ولوندره ونشره الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيهما مما ينفحه به بعض رجال الاستانة ، ثم عاد اليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤوط احد الضباط وجهة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لاجراج السلطان مراد منها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ، ففاجأهم العساكر بالسلاح فشتت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رئاسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فكتب فيها ثقة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، ويحجول في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الافغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

(المراجع ١٠) (٩٥) (المجلد الحادي عشر)

٧٥٤ صدارة كجوك سعيد باشا وأعماله (المئارج ١٠ م ١١)

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الاستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين، وهو مخالف لحقيقة الاسلام، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر، ويحول بينهم وبين مآربهم، وهو أشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة.

صدارة كجوك سعيد باشا وأعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزا له عن سبيه ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة « حوادث » فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المايين وصار باشكاتب له ، وهو المنسبب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السردار) عبد الكريم باشا وإخلاله موقف (بيله) امام بلغنا ، ومداخلة المايين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي تفتحها معاهدة برلين ١٨٧٠ الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المايين وتوقيعه، ولهذا كان مبغوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد ، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب المايين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانتهاآت واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن للباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب نفاقه وتملقه للمايين وتقديمه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا الباشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

(المترجم ١٠م ١١) صدارة كجوك سعيد باشا وأعماله ٧٥٥

الأعمال والإدارة في المايين ، وصار للباشا كتاب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الأعظم الى المايين ويبلغه الإرادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين!!

تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الأموال وإدخالها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في أحكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادات من واردات الحصة التي أضيفت الى الأعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية ، وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح الطرق والمعارف ، من دون ان يؤدي إعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الأخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة إلا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الأساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب المايين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا - لأنه نشأ وتربى في المايين - ان يحاول الاستقلال في وظيفته وإعلاء شأنها ورفع مكانتها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعاً للريبة ، وكثرت الوشائيات به فصار مبعوضاً منفوراً منه ، ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في المايين وأنجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والأجنبية في الباب العالي . هذا ما عدا دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في المايين تحت نظارة السرخية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب بإصلاحاته إدراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلغار للروم ايلي الشرقية ، واصراره على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين ،

٧٥٦ كامل باشا - جواد باشا - ضف الدولة (المارچ ١٠ م ١١)

صدارة كامل باشا الصدر الحالى

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالى بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الأجنبية وإدارة الدولة ، لانه قلب في جميع وظائفها ، فن قائمقام الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آلة في يد المايين ، مطيع لما يلقى عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريية في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضف الدولة

لما ولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابتة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعينه هو الايهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الالمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسئول امام الريشستاغ ! فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشى من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بانتزاع الممتلكات من أيدي أصحابها بالثمن البخس ، وإقامة الموظفين فيها بعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومة صغيرة قوية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

الجاوسية في الدولة الطيبة

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تدهور بسرعة إلى دركات التأخر والانحطاط، بعد أن خطت خطوات محمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي منيتا به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد المذاب الوجعاني والأدبي، وصار أرباب الدناءة والفساد يتقربون إلى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه ففيا من الاستانة ، فكانوا — بمقرباتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينيه الاستبداد ، ويعيدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين أنهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التسلبي والانحطاط ، رغم الابهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحميدي امام باب السراي صفوفًا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الأجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وده المشيرون وكبار رجال المايين حافئون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإمامية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجواهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعسكرية (الحقانية) واليالية والمشيخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

٧٥٨ الميل الى ألمانيا . الحوادث الأرمنية (المارج ١٠م ١١)

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن انكلترا الى ألمانيا والحوادث الارمنية

انحرفت سياسة المايين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر
الاستبدادي ، فجنى بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، وأشار عليهم بعض رجال السياسة كغلاستون بالقيام والهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجل
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
فقد جاء فيها ما معناه « يتعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحمايتهم من الجراكسة
والاكراذ ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرقة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية اقلالية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين
للدولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الاقلالية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخبر بعضهم
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد يساهم وجيهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تآلفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والاترك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يثنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد، وان اتفاق الارمن والترك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغبرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لايزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الفنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتلاف تام مع الترك حتى اذا أطلقت كلمة «ملت» (١) صادقة ، لا تنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طالب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا — ولا سيما انكلترا — واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) المنار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على انا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيراً لها

٧٩٠ جمعية الاتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك (المخرج ١٠م ١١)

الى المشكلة الكريدية الى المسألة المقدونية وهلم جرا . . . ورجال الماين أكثرهم جهلاء
أغبياء ، لا خبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شياطين ابالة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولوا دى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركيا الفتاة ومن
اقيام بالاصلاحات . ويشيرون باتخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من
المذابح والقضائح التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا آتي الحق ان وجبا
والمرء يعيه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود المسكر العجا

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والفساد بالامة أن تأسست
في الاساتنة جمعية الاتحاد والترقي لاختاد نار الفتى المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بشت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطبية — الى
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة
الحكومة العثمانية او نفقة الخاصة ، وبعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئ جمعية الاتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاساتنة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لتعلمه الانكليزية ووقوفه على المدنية الاوربية كما
مرياته ، والا فهو من الاتراك المسلمين وكان من معتبري الموظفين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فخرج أحمد رضا بك في مدارس الاساتنة

وعين مديرا للمدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحس من نفسه بلزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شققي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكاتب رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأئحة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرها من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلاه الفلسفية .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخليفته بير لا فيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التفاني في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الاغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يتزور الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعشون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبدأه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزى بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكارة ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قاتلا : لو وضعتم الشمس في يميني واقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

٧٦٢ معاكسة المايين للأحرار في أوربا (المئارج ١٠م ١١)

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الاهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع مونج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة ققصد اليه الوفد وذا كروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عرمت على شيء فاني لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة اليزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

معاكسة المايين للأحرار في اوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العائم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا مادب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترخاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب دُعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتما

(المنار ج ١٠ م ١١) كتاب الجرائد . الشيخ . الحرب العثمانية اليونانية ٧٦٣

بل أكثر، كان سلطانيا شاهانيا!! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي!! . وا قدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شوري الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة قتله وذ كنه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بجلب أهل الظنة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالرحومين الشيخ ابي السهود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيداء والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر ، مؤلف الرسالة الحميدية . فلو اطلعت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولرايت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ايصال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، وافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة «مشورت» يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيراميجه القاضي بالساح عنه . وبينما كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمتكلمة الكردية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان --- مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر العثمانية فأخذته المرة ودأب على سياسته الاستبدادية وقعدت همه الا كثرين

٧٦٤ غرور المايين واستئصال الاستبداد (المارچ ١٠م ١١)

من حزب تركيا الفتاة فخفضوا لاحكام الاستبداد جبراً وقهراً، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذاباً شديداً بسبب غلاء أوروبا وكثرة الاتفاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من علمهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أمدوا بعضهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجمعيات الارمنية والمقدونية الانتقالية فان أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانوهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان العثمانيين لجمعياتهم هو موت النعرة الوطنية في نفوسهم وقد الحماسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستئصال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية العثمانية فتوة الامة العثمانية وحميتها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكر وكفهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الحمجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

زاد غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الالتفات والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى السكاتب

(المراجع ١٠م ١١) البلاد العربية والسكة الحجازية ٧٩٥

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحه) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العاتي - أولئك الذين أقروا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يعد لاحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بله غيرها من لغات أوروبا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الادارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(لها بقية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصباء ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الحرقلة المباء ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال التواء وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعا

(١) المار : الشفرة في اللغة التركية هي المحاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المتخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(٥) بقلم رفيق بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة الخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات الناييم
الغزيرة والأشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع
لهم المجال وتساعدهم الحال ومع هذا فإن بلادهم مفتقرة الى إصلاح كثير
وعناية من الحكومة كبيرة، لتقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنابت أنواع
الزرع وفقد الراحة والأمن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام
ونزاع بين الحاكم والمحكوم له كادت تنفني الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران
الطبيعية لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليوناً من
الليرات ، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة
والاهلين هي :

(أولاً) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكون مجاري وسيولا
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فإذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار
ثم استكثر من عمل الخياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا
ميسرة في أكثر اطراف اليمن ونحوها تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة
خافتة بالزرع والضرع ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات
والخصب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن
والقطن والنبيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات
ويؤخذ منها ثلاث غلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنابت جميع أنواع النبات
التي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كالبن اذا بلغ نظام الري
في هذه مناطق في الهند ومعهم قناه يكثر بلا ريب من اثنى البلاد الغنية
بمهم يزدهر بمصدر ثروة الحكومة والاهلين اذا أضيف الى ذلك قوة

الاهلين

الاهلين ان تقسم رتبة اليمن الى ثلاث ولايات احدها صنعاء والثانية صعدة

والثالثة تعز، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرفا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشرواية العدل والراحة والأمن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عازمت عزما أكيدا على اصلاح البلاد اليمنية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن مالية الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارحاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الأرضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعاً منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجها فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

وعما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ، فانها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدية عن طريق القنفذة او طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وافصاها في الشمال والغرب . وتصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

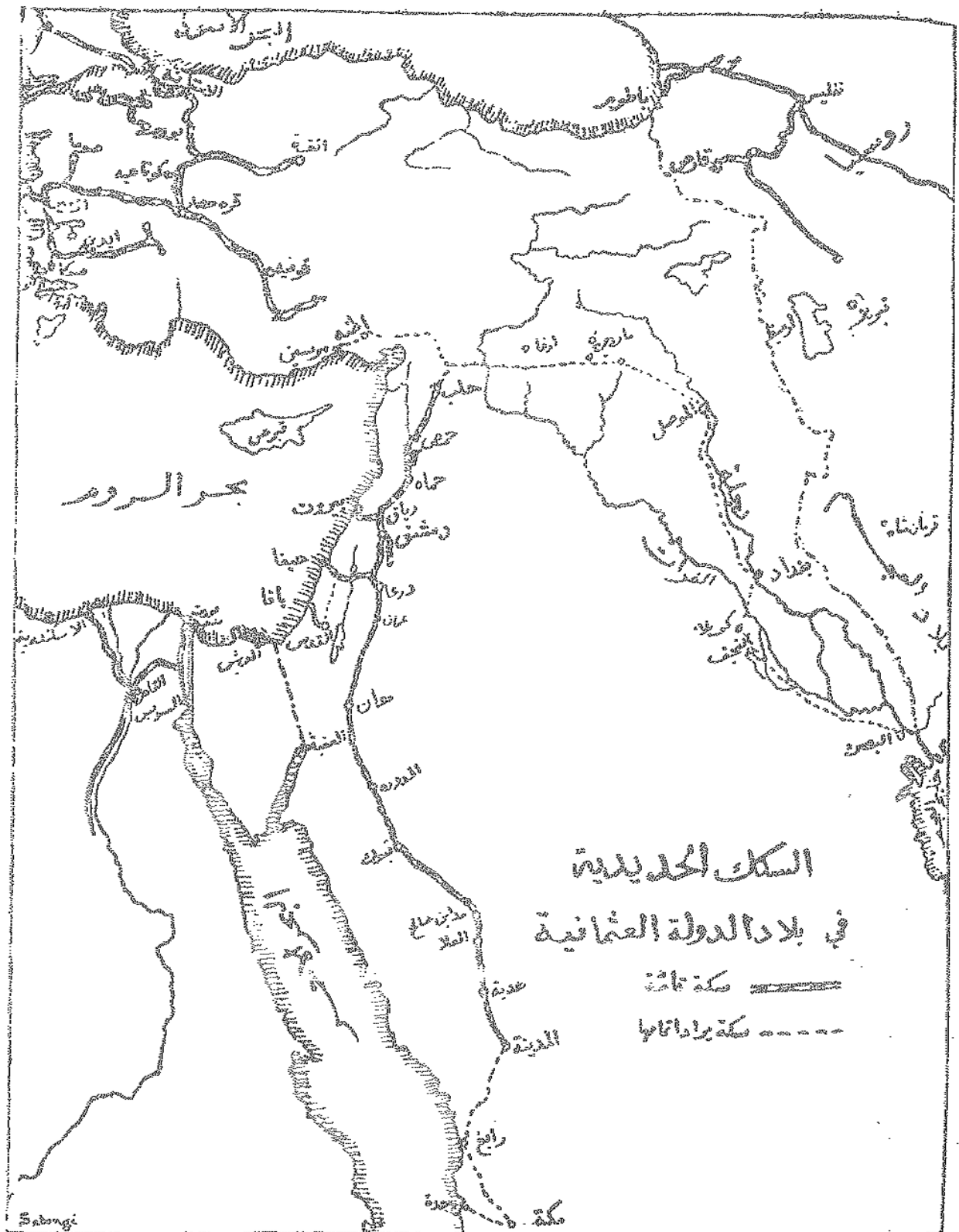
٧٨ السكة الحجازية . ماتم منها . طولها (الخارج ١٠م ١١)

ان صار البحر الاحمر مزدحما لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية ومجدد بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها وضف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من ثمراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أخرى الدولة العثمانية بأب تنافس الدول بقطر عظيم فسبح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل العمران اذا أعطي كل الضاية والالتفات ونال حظا من الاصلاح عظيم ، ولاسيما في عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة العثمانية جمعا ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي نتمنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كتبها الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط باختفال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لاتمام الخط الى مكة البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة كيلومتران يضاف اليه الخط من حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ماتم من الخط الى الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠ كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مبنوثة فيها اقربى الأهلة بالسكان ، الا ان خوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت أراضي معان أخصب من أراضي خوران



(مستعارة من مجلة المتكلم الفراء)

(المناج ١٠م ١١) السكة الحجازية . الأراضي التي تجتازها . محطاتها ٧٦٩

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شي . كثير ومنها الملعب (Amphithéâtre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ما روي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعا . وقد هم كثير من الناس بابتاع الأراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لأحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الأراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأثر بها أفراد من المقربين ولم يكن شي من ذلك الى الآن . فخرجوا ان توفى الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين وإذا مضت المدة ولم تصلح الأرض وتستثمر ساغ للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الأراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همه الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لإصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويلبها في العظم محطة تبوك والأراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفواكه والنخيل ونجود في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لأن أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة . ثم يعودون الى بلدتهم لاجل الاعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والا كثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والأتجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزرع النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفعوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبهما في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدّ ناشط من هذه السكة الحديدية من مهران الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذاك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لأنجاز هذا الخط خير الجزاء



باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الأحاديث والسنة ﴾

رد على الأستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (*)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمئن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الأحاد للتعليم والحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أبدته قرائن أخرى قطعية، فهو لاء الأحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحقروا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاحتساب منهم وقبل أن يحقروا ذلك لا يجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعدتيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الأمر، فإذا قالوا لهم إن الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لأنهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لأنهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا إذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بعزلهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو لاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون منه أولياء أمورهم

(*) تابع لما نشر في (ص ٨٦٦ ج ٩ م ١١) من مقالة الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي

٧٢٢ رسل النبي . تأليمهم لأتوجب اليقين (الملتوج ١٠ م ١١)

بآذانهم فأخذون به ويعملون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أولم
يقاله فالعهدة فيه على روايته

فان قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن وإلا فكيف
يوفق بأن هؤلاء القوم لا يبلغون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت ان الرسول إن لم يعلم ذلك
بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن اصحابه البصيرين عنه
كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايان
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأماهم
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدا — وإن كان
نظره أضغف من نظر الرسول — يصدق صاحبه واخلاصه بعدم معاشرته له زمنا طويلا
في أحوال مختلفة . وإن بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو النسيان عليهم
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات مقطعة عن المسلمين بل كان بينهم
و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين
مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك ويذهب اليهم
المسلمون لمثل هذه الأغراض فإذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ
أو يعزهم او يماقهم . فبالوحي وبقوته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا
طويلا وبأخبار النذاهين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ
عنه في تلك الجهات ومهيئا عليه فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا
قليلًا فيمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية
في مبدأ الدعوة حتى يعم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع
معلمي المدارس وتلقيهم العلم عنهم وعلمهم به فان الامة رقية عليهم فان أخطأوا في
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الامة وأولياء أمورها فيتلافونه
في أقرب وقت

(المارج ١٠م ١١) احاديث الآحاد غير واجب تصديقها ٧٣

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يقرهم رقبيا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتبنيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لاجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته وإخلاصة أن القرآن الشريف يذم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لهم بما يذم به غيرهم ويلومهم على اتباعه وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الأخذ به في الدين فدللنا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنة صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدق صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلانزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وافردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

٧٧٤ السنة العملية والقولية . الواجب اتباعها (المار ج ١٠م ١١)

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت إليهم لأحوال خاصة وظروف مخصوصة أو أنها كانت للإرشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الأحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخط . وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدُها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما نسمية الأحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالنا إلى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فإن السنة لا تكون إلا عمالية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأً يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الاستاذ الإمام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فإن سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصلحة في زمننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فإن سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الأخبار المتعددة المصادر المختلفة المعنى المتحدة المعنى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به إليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه وأحكاماته وليست سنته في الجود والتواضع

(المترج ١١م ١٠) السنة العملية - حقيقتها - آراء الأئمة في أخبار الآحاد W٥

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لا رأيهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد ونهري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي - وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للصالحه ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وفقنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور تعلم من نصوص الكتاب العزيز وماتواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة - فسنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين - وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والاقداء به والجري على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يحجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها

وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها ظنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في القائد »

٧٨٦ آراء الأئمة في أخبار الآحاد (الملتزج ١٠م ١١)

(٦) وقال كثير من الأئمة كالقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقة بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتميزه عسير وفي بعض الأحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « إن الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثاً

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والتقصان

(١٣) لم يجمعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يبلغوها إلى الأمم بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الإسلام

إلا ضرورة

(١٥) اتهم نهبوا عن كتابها وأمروا بحرق ما كتبوه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثاً ويصدقون عنه ولو كان واجباً لما كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوه للجنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في

مذهبه كثيراً منها

(٢٠) لم يعتن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأني فائدة منها ترجون ؟ وأي ثقة بها تقنون ؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعة حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعيننا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ اليافعي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وبأمره على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتباً ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدنية بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعملوا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بعقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتباً كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي

(المنارج ١٠) (٩٨) (المجلد الحادي عشر)

٧٧٨ طريقة المؤلفين في سوق الحجج (المأرج ١٠م ١١)

صناعة أخرى بل تركوا شأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الأحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع
استاذ المأرج فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) — أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالتي —
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقتناعي) وذلك ان نحتج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن نحتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وان كنت غير معتقده .
فأنا أورد الأحاديث غالباً لا لا ثبت معتدي نفسي بل لا تقع من لا يقع الا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الأحاديث إما
لاقتناع المسلمين وإلزامهم بها او اكثر من الأدلة بضم ضعيفها الى قواها ليقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدير فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين
فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت
من الأساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجهاد من الحقائق بعد ان يستنبروا في
دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا
أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكامها بحك
القد والعقل فاذا سمع رواية « ان الله استودع الحجر أبا قيس حين اغرق الله
الأرض زمن نوح عليه السلام وقل له اذا رأيت خليي يني يتي فأخرج له فلما انتهى
إبراهيم للحل الحجر نادى أبو قيس إبراهيم فجاء فخر عنه فجعله في البيت » استنتج
مها بعد ان يزبل قسورها واولعها حمية هذا الحجر وهو ان أصله قطعة من حجر إبراهيم
نبي السلام من اصحاب جبال أبي قيس السوداء القريية من الكعبة عرضها في أحد

(المترج ١٠م ١١) طريقة الاستدلال . الحجر الأسود ٧٧٩

أركان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف يعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليتدئ الناس بالطواف من نقطة واحدة حفظاً للنظام وتسهيلاً للطائفتين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيراً من حقائق تاريخ اليونان مثلاً مما يجدونه عندهم من الأشعار والحكايات القديمة كاليادة (هو مير) فإذا كان هذا ما يفضل العلماء في الأساطير فهل يستنكر مني أن استشهد بقوم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان صحيحاً ما خلت أحاديثنا منه فإنها تكاد لا تفاد شيئاً (إني والله لفي حيرة من أمرهم ١١) على أن كثيراً مما أذكره في مقالتي مروي عن كثير من الصحابة بالأسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعاً موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلهم وإشباع نهمتهم في العلم فلا بد إذاً من البحث والتقيب . ولورفض المسلمون الآث ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أمّا

(١) حاشية للكاتب — ثقيل الحجر الأسود هو كتيل آثار رجال التاريخ العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وحبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أوداة شكير وقلمه إن وجدت ولكل أمّة آثار موروثة عن رجالهم العظام ويقبلونها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبع المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئاً من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون ثقيلنا لهذا الحجر عبادة — مع أن الثقيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه الأشياء مع أنه شتان ما بين السجود والثقيل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيلك
إمامنا وقدوتنا ولا تخزننا يوم يعيشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المامة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾*

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو
« نردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . ونشبهه بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذنه
قط » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل
الثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن التوراة وعن
كاهن مير الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الأول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحداً
على تقضاها واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الأول ان اليونان
حينما ذكروهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلان

(* تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الأسكندري

يتضاء لان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين انعكاسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن ننفي أولا هذين الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني انتيفونوس وابنه ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣ مقتطف) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافا لهم حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاء وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصيغة الآرامية والعبرية مع اننا عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يقم عليه دليل وما كان أحوج المؤلف الى ذكره لو وجدته

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن الآراميين الذين جاءوا مع مختصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

٧٨٢ الأدلة على ان النبط غير عرب (المنارج ١٠ م ١١)

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنازل حطا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية . بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الإله انتقم من الادوميين وضربهم بغارة يختصر قدام عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احرافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظاهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارسطو بولوس بن يوحنا هر كاتوس بن سيمان أخني يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحقيقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاء ويجعل جبال عيصو خرابا وميراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يقينهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المضربة من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف لما أحسن تضعيف دليله عن تبريره تلك الحلة التي هاجها في

(المراجع ١١٠م) نبط الشرق الزعم بأن مينا امة قديمة لم تعرفها العرب ٧٨٣

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع يقنه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا زعم بلا دليل ان لغة تخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاء ناموس الارقاء» هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعراها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي لا تنهاى قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس عن الاقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه (٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم يدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الحماو جداما و بكرات وطلب وعبادا ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول اليمن ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقفى على أثر ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا بتبديء أخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد لعمورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسماري « ان زام سين حمل على مغان وقهر ملكها معنيوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم في «معنيوم» للتوين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار (معينا) وكذلك نقل عن سفر الاخبار « أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى المعونين » أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث حدثت في برية الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عرك الله كيف يلتقيان

٧٨٤ اضطراب مؤلف تاريخ العرب وتناقضه (المجلد ١٠ م ١١)

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماي
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أمّتين لقد حق لنا ان نقول
على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا أنهم من جالية الآراميين أتوا من العراق
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الامر بأن المعينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفينيقي فلم يرحلوا لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط
الفينيقي لسهولة هذا الأخير في نظره !!! ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من
وصفهم في موضع آخر أنهم كانوا معاصرين للسبثيين الذين لم يتبدى دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم ينشبت في موضع آخر بأن
الصحطانيين السبثيين كانوا بعد المعينين أو أنهم ورثتهم أو أنهم حبشان أو أنهم
عمالة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
وارتباك يهون عليه معها نبذ كل هذه التخرصات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت
قبائل متجاورة في مخاليف متقاربة أعظمها مأرب

الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عدة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لا برهة
الجبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وثامة وحنشا ومرشد
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال «جبا مدينة الفاخر
وهي لآل الكرندي من بين ثامة آل حمير الاصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

(المناج ١٠م ١١) اضطراب مؤلف تاريخ العرب وتناقضه ٧٨٥

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) أن المعينيين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكمته وقسموا اليمن إلى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وأنشئوا الدولة المعينية والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في أن المعينيين لم تعرفهم العرب مع أنه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل أن «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى أن مالك بن حريم الدلاني يقول فيها

ونحى الجوف ما دامت معين بأسفله مقابلة عرادا
وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أحل يحابر جدي عطيفا معين الملك من بين البنينا
وملكنا براقش دون أعلى وانعم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث أنهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وإن بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا إلى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كنقسيمااته أدوار تاريخ العرب وكسيميته الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهمين بالقريين نسبة إلى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الأرض ويكثرون من آنية الذهب والفضة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟! ليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي يكت حضرة جرجي افندي زيدان جهلة مؤرخينا على ذكرهم (المناج ١٠م ١١) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)

٧٨٦ ذهاب مؤلف تاريخ العرب وراء الظنون (المئارج ١٠م ١١)

لها! ولكنه لا ييكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل أهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسمها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف ارتياب القارئ في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر يرعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقس في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخلها بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذكرا استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريباني بابه فبعد ان أورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منهم بعصي اصطفتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطفتها على مثالها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها السوء فشكاها إلى أبيها ولما اطلع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اهـ

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدعجه ويجميل فيه ويحيل القارئ على الكتب الاخرى !!

(المناج ١٠م ١١) سوء تعبير مؤلف تاريخ العرب . ترجمة الخنساء ٧٨٧

الامر الخامس سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتي انه لا يرى المطلاع على كتابه خبرا مبرهنا على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريجا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكمال لله وحده

أنا عبد الله بن عبد الله

ترجمة الخنساء (*)

هي السيدة ثمأضر الصحابة الشيرة الجليلة بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من سراة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواعر العرب المشهود لها بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنس من صفات الظباء وهو تأخر

(*) خلاصة درس اقامه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الأنف عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة ، ويقال لها خناس على سبيل التليخ ، وقد كانت من أجمل نساء العرب وأفصحهن ، نشأت عزيزة حرة لا تقتات عشرينها عليها بأمر مربها دريد بن الصيرة فارس هوازن وسيد بني جشم وهي تنها بعيرا لها فأنخلع له على كبر سنه وأنصرف إلى رحله وهو يقول :

حيوا ثمنا ضرا واربعوا صحي وقفوا فأت وقوفكم حسي
أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به كالיום طالي أيتق جرب
مبدلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع القنب (١)
متحسرا نضخ الهناء به نضخ العير بريطة العصب (٢)
فслиهم عني خناس إذا غص الجميع هناك ما خطبي

ثم غدا إلى أبيها فخطبها إليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية أن يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي كعمالي الرماح وأتزوج شيخا من بني جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها أكرهني هبت على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر معاذ الله يرضعني حبر كي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤) فهجاها دريد فقيل لها لا تيجينه ؛ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده وأهجره ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحريتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتيم والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الأولى سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثر من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما واكثر المراثي ، وأجود مراثيها ما خلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام الخلقين ، كقولها في معاوية :

- (١) الهناء : القطران ؛ والقنب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير
(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاة
أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف القهور (٤) الحبر كي : القصير الرجاين الطويل الظير . والشبر : الخبر والمطا.

سأحمل نفسي على حالة^{*} فأما عليها وأما لها
تهين النفوس وهون النفوس
فإن تلك مرة أودت به
فيوما تراه على هيكل
ويوما تراه على لذة
فخر الشوامخ من فقده
وكقولها في صخر

ألا يا صخر إن أبكيت عيني
دفعت بك الخطوب وأنت حي
إذا قبح البكاء على قتيل
وقولها فيه

أعني^{*} جودا ولا نحمدا
ألا تبكيان الجري الجميل
طويل النجاد رفيع العما
إذا القوم مدوا بأيديهم
فقال الذي فوق أيديهم
يحملة القوم ما عاظمهم
وان ذكر المجد الفيته
وقولها :

يا أم عمرو ألا تبكين معولة
فابكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة
فقد فجعت بيموت تقيته
فمن لنا أن رزئناه وفارقنا
قد كان سيدنا الداعي عشيرته
على أخيك وقد أعلى به الناعي
على أخيك رفيع الهم والباع
جم الخارج ضرار ونفعا
بسيد من وراء القوم دفاع
لا تبعدن فنعم السيد الداعي

(١) النوح جمع نائحة على غير قياس

وراثيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حتى يتقى
هم منعوا جارهم والنسا
بييض الصفاح وسمر الرماح
وخيل تكدس بالدارعين
جززنا نواصي فرسانها
فمن ظن ممن يلاقي الحروب
نعف ونعرف حق القرى
ونلبس في الحرب نسج الحديد
وراثيتها السائرة مسير الامثال

كأنه علم في رأسه نار
جلد جميل الحيا كامل ورع
جمال الوية هباط أودية
لا يمنع القوم ان سالوه خلقة
وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقهرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها
ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على
كرسي فينشدونه فيفضل من يرى تفضيله ، فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال
لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فاعتاظ حسان بن ثابت
(رض) من تفضيل الاعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن
أيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأني عنك واسم
ثم قال للخنساء انشدته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا فلاء

فقال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول
لنا الجففات الفر يلعن بالضحى وأسافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني الضياء وابني محرق فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنا
فقال الخنساء ضمنت افتخارك وانزرت في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت
لنا الجففات والجففات مادون العشر فقلت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،
وقلت الفر والفررة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكانا أكثر، وقلت يلعن
واللع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت بشرق لكان أكثر لأن الاشراف أكثر
من اللعان، وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المديح، لأن الضيف
بالليل أكثر طروفا، وقلت أسافنا والأساف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان
أكثر، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يسبن لكان أكثر لأن صبأب
الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك!!
فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من أشعر
الناس؟ فقال أنا ولا الخنساء، قيل بم فضلتك؟ قال بقولها

ان الزمان وما يقى له عجب أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس
ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فليل له او كذلك
الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تناصر الخنساء رضي الله عنها كانت مصحابة
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، يد
انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسلبها (١) على ايها واخويها، وقد بلغ من
وجدتها على صخر انها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل
بها بنو عمار عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نهيتها، فدخل عليها فوجدتها على ما وصفت
من تهريج ما قبحها، فقال لها ما اقرح ما آتي عينيك يا خنساء؟ فقالت بكائي على السادات
(١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والتسلب هو الإحداد على الميت

من مضر، قال حتى متى؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام،
وانه لو خلد احد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان الذين تبكبن هلكوا
في الجاهلية وهم اعضاء اللهب وحشو جهنم، قالت ذلك أطول بعويلي عليهم، ثم
استشدها فأشدته ارتجالا:

مضى جدنا اكناف غمرة (١) دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجزكم فكل امرئ يبكي شجوه
وقد رآها مرة تطوف بالبيت محلوقة نبكي وتلطم خدها وقد عقلت فعل صخر
في خارها فوعظها وقال انه لا يحمل لك لطم وجهك، ولا كشف رأسك، فكفت
عن ذلك وقالت

هرיתי من دموعك واستنقي وصبرا ان اطقن ولن تطيقي
بماقة فان الصبر خير من النملين والرأس الحليق
ولما لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول:

الا يا صخر لا انساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمي
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذا كره بكل منيب شمس
قلولا كثرة الباكن حولي على اخوانهم قتلتي نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي
قد ودعت يوم فراق صخر ابي حسان لذاتي وأنسي
فقات عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة، قالت نعم ان لشعاري
سببا، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال، يقامر بالقداح، فأتلف فيها ماله
حتى بقينا على غير شيء، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا، فأتيته
وشكوت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرنني ماله، فانطلق زوجي قمار به فقبر
حتى لم يبق لنا شيء، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فمذلته ، ثم قالت ان زوجها
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتها فأعطها أخس مالك فانما
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله
لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حيت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة
وهي أحزن نساء العرب على قعيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنيتها الاربعة يوم
القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت
مع بنيتها الاربعة وحضرت الوقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت
حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فاذا أصبحتم غدا ان شاء
الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ،
فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجلت نارها على
أرواقها ، فقيموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خبيثتها ، تظفروا بالمقتم
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين
فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وأنشاميون الصدرية

(المنارج ١٠م ١١) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)

٧٩٤ حادثة صاحب المنار . أقوال الصحف فيها (المنار ج ١٠ م ١١)

أولادها الأربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الأسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنهى صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدّ نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام واننا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الشاء عليهم وعلى الآخرين

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعضا فجرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فاخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

« وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبلين يربو على الخمسمائة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العثماني عربية

(المنار ١٠ م ١١) حادثة صاحب المنار . أقوال الصحف فيها ٧٩٥

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الأهل والأحباب إلى أن اقترب الجميع من سوق العطارين فتصدى كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الأستاذ وابتدره بضربة على رأسه بعصا فلم تصبه تماماً فأراد أن يضربه ثانية فلقاها الشيخ محمد الراجحي بيده وتمسك بالمصاحفي أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وخطر كل من يقترب منه بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الأستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ محمد الراجحي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكدر عمومي من جراء ذلك، الأستاذ لم يبد عليه أثر كدر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوسة »

فهنئ صديقنا الأستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التحري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تكيلا له وإرهابا لغيره (الاتحاد العمالي)

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار وافى الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المدة لنزوله هجم عليه أحد الأهالي وضربه بعصا على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق كأنه لم يأت شيئا مذكورا

نقول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نطن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغرى مدفوعا بيد أعلى فغسي أولياء الأمور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الأقل (لسان الحال)

٧٩٦ حادثة صاحب المنار: أقوال الصحف فيها (المنار ١٠م ١١)

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتئذ في وجه الظالمين وقمة طويلة. ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمر بيروت حيث قابل مقابلة شائقة جديرة به وبعد الإقامة في بيروت أياها سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي. فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون. وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل اجلال وأعبدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص المحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البارود إلى منزل فضيلة مضيفه الأستاذ الشيخ محمد الرافعي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه. وحدث في أثناء الطريق أن شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضربه بها فأصابت شطر رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هارباً وكان هذا العمل مدعاة للمفارقة بالسيد رشيد ووردت عليه تلغرافات التهنية من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء. وزاره القومندان وأعرب عن أسفه وظهر أن الشقي مدفوع بأيدي أناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه أن يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له أحسن وقع وقد أهتم والي بيروت بالاعتداء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكلاءا لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن إذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود اندال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا أن يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم (الاهرام)

اعتداء ذميم - ورد كتاب من طرابلس ينبيء بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

(المنارج ١٠م ١١) حادثة صاحب المنار . أقوال الصحف فيها ٧٩٧

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنارينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدمه وضر به بمصاعلي رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تقى العصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلايك تستشيرها في إعلان الاحكام العرفية في طرابلس بعدحادثة السجن وهذا الحادث الموجب للأسف . أما الجاني فاهمة مبدولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن

* * *

اتانا من غير مكاتبتنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصيب أحد بسوء والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من انحاء سورية تهنته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ماجرى الى دوة والي يبرت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دوة والي وكيلاً لتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعدما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمنون منزل الشيخ الرافعي لتهنته ضيفه الكريم بالقدم والسلامة

* * *

(المقطم)

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

٧٩٨ الدولة العلية وبلغاريا والنمسا (المنار ج ١٠ م ١١)

سافر في الأسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الأحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والأحوال ما خلاصته أن حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم (وفي رواية الأحوال أنه عبد القادر مؤذن) وابتدره بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل إلا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم ينزل هناك وقد اتفقت الأحوال والاتحاد العثماني على تواني من بيدهم أمر الضبط في هذه الحادثة. والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه

(المؤيد)

الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أ كثر العبر في أعمال البشر وما أقل المعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيئة عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خليطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأثيره حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من أشباه هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من يتدبر ويعي ، ذلك أن أعمال الأفراد لا يلاحظها إلا علماء الأخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمانها وإخفائها ، بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون أن أقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا إذا كانت النهب والاحتلال في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا، والحق الذي لا مرأى فيه أن الإنسان مهما استكنه أحوال البشر فإنه لا يحيط علمًا إلا بجزء يسير من كلِّ كبير، وعليه فلا تريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبًا، بل على من فعل وهو يوقن أنه مخطئ،

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي أنها ألحقت مقاطعتي بوسنة وهرسك بمملكتهما وانما صارتا بهذا الالحاق جزءا منها ١١ فقلب هذا الحادث كيان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى مايراد بها فصرفها عن القيام بالأصلاح الداخلي، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك يومين، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجئ، في عالم السياسة حربا ضروسا تشتعل جذوتها في (ترنوفو) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض غمراتها، فيكنّ اذ ذاك من جناتها وكماتها، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على أن هذا الفكر والذهاب اليه ليس من باب الخدس والتخمين، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحمّ الامر وجف القلم، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار الفلج والخلدان

عظم على العثمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدورهم آخرون، على أنه لا محل للفرابة فإن بلغاريا تحفز لهذا الامر منذ أمديد، وإنما دعاها الى التسرع ما توقعه من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عاينها نصف عقد من الاعوام وهي دستورية حرة، فانها اذ ذاك تخشى أن تعبت بحقوقها وتستهين بسيادتها فأسرعت الى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت ورضى، لانها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب اقل مايخشى فيها من الخسار ان تقلب الحال الى ما كانت عليه - لا قدر الله - وفي ذلك البلاء الجم والمصائب العم

إن استقلال بلغاريا يتألم له العثماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

٨٠٠ الدولة العلية وبلغاريا والنمسا (النازج ١٠ م ١١)

فإن بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما ننال شيئا من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال
الا أن صنع النمسا لهو شر صنم يقع أو يتصور ، وشر منه أقواها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكده هذه الدولة النهمة تعلن الحاق هاتين المقاطعتين بمملكتها حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبأونها يعلنون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيتهم بالفعل وأن يؤذوها هم بالقول فصمموا على الاعراض عن مشترى سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سيما إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الامة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الاسطانة كما تغادر بيروت ويافا واللاذقية وغيرها من دون ان تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك فطفقوا يمزقون مالدتهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجموع هذا الاعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معامل النمسا ومصانعها حدا بالأكثريين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الالحاق ، الذي يخشى ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (؟) إلا أن أوعزت الى مقسدها في الاسطانة بأن يحتج على حكومتها !! طالبا منها حمل رعبها على نبد المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم انه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الحاق بوسنه وهرسك بمملكتها بها وسلبا من الدولة العلية بجهارا وتحظر على الامة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعبها على مشترى سلعة دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا للحكومة دستورية !! ان في هذا المواطن للعبر ومواضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

حسين وصفي رضا